المقريزي ومنهجه في كتابه (المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار)

*خلدون خليل الحباشنة**

ملخص

تتناول هذه الدراسة منهجية المقريزي (ت845هـ/1441م) التاريخية في كتابه (المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار) من خلال التعريف به وتبيان ريادته في الكتابة بالخطط، وتسليط الضوء على منهجيته المميَّزة التي اتبعها في كتابه الموسوعي الذي أرَّخ من خلاله للجغرافيا التاريخية لمصر وعمرانها، وتداخلها بالمعطيات السياسية والاقتصادية والاجتماعية، وتأثير ذلك في حركة التاريخ ومصير الدول، من خلال خطة محكمة للكتاب، تتكامل مع منهجية رصينة اتَّسمت بالتحقيق والتحليل وعدم الاستطراد، مستفيدا من تجاربه وموظفاً عدداً كبيراً من المصادر المتنوعة، وبينت الدراسة أهدافه من تأليف الكتاب ومركزية مصر في تاريخه، ونقده للفساد الذي أصاب الدولة المملوكية وأدى إلى خراب البلاد، وتطرقت بالنقد إلى بعض الأخبار التي لم يلتزم بها المقريزي بالمعقولية التاريخية؛ لغرابتها وضعف صدقيتها.

الكلمات الدالـة: المقريزي، منهج، الكتابة التاريخية، الخطط.

المقدمة

تعدُّ الدراسات التاريخية المهتمة بدراسة المؤرخين العرب ومناهجهم ذات أهمية بالغة في فهم الجوانب الحضارية في الفكر العربي الإسلامي وإبرازها، والكشف عن الشخصية الحضارية للأمة وتجربتها عبر التاريخ.

وتعبّر مناهج الكتابة في التاريخ وتدوينه تعبيرًا قوياً عن مدى التطور الذي وصل إليه الإنتاج الفكري للأمة، وانعكاساً للواقع بكل معطياته، فالتدوين التاريخي جزء لا يتجزأ من التراث الذي يحمل في طياته أحمالاً من المعارف التاريخية الهامة، التي تساعدنا على فهم واقعنا من خلال فهم تاريخنا، ولأن المنهج التاريخي علم متطور ومتغير، فنحن بحاجة لفهم أهم محطات التطور في هذا المنهج من حيث المواضيع وطريقة التفكير والأدوات.

ومما تقدم تكمن أهمية هذا البحث الذي تضمن منهج المقريزي في التدوين التاريخي في كتابه المشهور(بالخطط المقريزية)، الذي بلغ فيه تطوراً ملحوظاً بهذا النوع من الكتابة التاريخية، متأثراً بأستاذه ابن خلدون (ت 808هـ/ 1405م)، إذ إنّ الموضوعات التي تضمنها الكتاب تتناول أحوال الاجتماع البشري في مصر، بالإضافة إلى أخبار تتعلق بالجوانب السياسية والاقتصادية والاجتماعية والديموغرافية والعمرانية والثقافية، معتمداً في تناوله هذه الموضوعات على منهج الوصف والمشاهدة والمقابلة والاستفسار والملاحظة، الأمر الذي يعطي مادته التاريخية أهمية وثائقية، ومنهجية في خدمة كتابة التاريخ العربي الإسلامي.

وتكمن أهمية الجغرافية التاريخية أنها تحاول دراسة كل المتغيرات على المكان وربطها بالعامل الزمني الذي يُعدّ من مرتكزات البحث التاريخي، إذ يمنحها عنصر الزمن سهولة الربط التتابعي والتحليلي في الإطار المكاني.

وجاءت الدراسة وفق المحاور الآتية: التعريف بالمقريزي، المقريزي ومنهج الكتابة في الخطط، مخطط الكتاب ومنهجه، ومنهجه في التعامل مع المصادر.

التعريف بالمقريزي (ت 845هـ/ 1441م)

هو تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر بن محمَّد بن إبراهيم بن محمَّد، اشتهر جده بالمقريزي، واشتهر والده بابن المقريزي(المقريزي، 1998: 9/1؛ السخاوي، 1992: 21/2؛ المقريزي، 2002: 13/1؛ الشوكاني، د.ت: 79/1)، وقد لُقّب بالمقريزي نسبة إلى حارة المقارزة بمدينة بعلبك، إذ نزلها جدّه الأعلى إبراهيم بن محمَّد، ثم نزحت أسرته من بعلبك إلى مصر طلباً

* قسم العلوم الإنسانية، كلية الآداب، جامعة الزيتونة الأردنية، الأردن. تاريخ استلام البحث 2018/2/28، وتاريخ قبوله 2018/7/18.

للحياة الكريمة، وقد تولى والده القضاء بمصر وكتب التوقيع في ديوان الإنشاء واستقر في القاهرة حتى وفاته عام (779هـ/1384م)(السخاوي، د.ت: 54/1؛ السخاوي، 1992: 21/2)، وقد ولد المقريزي في حارة برجوان بالقاهرة سنة (766هـ/1364م)(السخاوي، 1992: 21/2؛ المقريزي، 1998: 6/1)، وأشار إلى ذلك بقوله: "وكانت مصر مسقط رأسي وملعب أترابي ومجمع ناسي، ومغنى عشيرتي وحاميتي، وموطن خاصتي وعامتي"(المقريزي، 1998: 6/1). وعلى الرغم من تردد جده الشيخ عبد القادر بن محمَّد على مدينة القاهرة، إلا أنه لم يستقر بها، فقد توفي في دمشق عام (733هـ/ 1332م)، وقد اشتهر محدثاً وفقيهاً، كما تولى بعض المناصب في دمشق(المقريزي، 1997: 171/3)، أما جده لوالدته فهو الشيخ شمس الدين محمَّد بن عبد الرحمن الصائغ، وهو من كبار فقهاء الحنفية، وكان عالماً بارعاً في اللغة والفقه، وقد شغل وظائف هامة، إذ تولى إفتاء دار العدل وقضاء العسكر، وتدريس المذهب الحنفي، إلى أن توفي سنة (776هـ/1375م)، وقد عني جده بتعليمه وحثّه على العلم والمعرفة، ونشأ في بيت علم واستفاد من صلات جده العلمية الذي أخذ ينشئه على المذهب الحنفي بدلاً من المذهب الحنبلي الذي كان عليه آباؤه، ولكنه بعد وفاة جده ووالده تحول إلى المذهب الشافعي، عام (779هـ/ 1384م). واستقر عليه حتى وفاته عام (845هـ/ 1441م)(العسقلاني، 1969: 166/1؛ السخاوي، 1992: 21/2؛ ابن تغري بردي، 1984: 416/1)، وقد أظهر المقريزي ومنذ سنواته الأولى شغفاً نحو العلم، وقد تتلمذ على نخبة من علماء عصره، بلغ عددهم حسب السخاوي (ت 902هـ/ 1497م) ستمائة عالم، أخذ عنهم الفقه والحديث واللغة والقراءات والنحو والأدب والتاريخ(السخاوي، 23/1992:2؛ الشوكاني، د.ت: 80/1؛ السخاوي، د.ت: 24/1؛ أبو ابن تغري بردي، 1984: 491/15)، وبالتالي استطاع تكوين ثقافة موسوعية متكاملة.

أما أهم شيوخه في علم التاريخ فهو أستاذه عبد الرحمن بن خلدون (ت 808هـ/ 1405م)، الذي تحدث عنه بكل احترام وتقدير(المقريزي، 1998: 149/1)، وأظهر إعجابه بكتابه (العبر) ومقدمته التي وصفها بأنها نادرة عجيبة، "ودرة بديعة غريبة، وأنه لعزيز أن ينال مجتهد منالها، إذ هي زبدة المعارف والعلوم ونتيجة العقول السليمة والفهوم، توقفك على كنه الأشياء، وتعرفك حقيقة الحوادث والأنباء"(المقريزي، 2002: 403/2).

ولقد انعكست دراسة المقريزي النظرية والخبرة التي اكتسبها من خلال الوظائف التي تقلدها إلى صقل الجانب المعرفي لديه وإغنائه، بما يخدم توجهه لكتابة التاريخ، وتوظيف هذه الخبرات والمعارف في ذلك، إذ تقلد العديد من الوظائف الديوانية(السخاوي، د.ت: 54/1).

وتولى الحسبة في القاهرة، والوجه البحري، والخطابة بجامع عمرو وبمدرسة الناصر حسن، والإمامة بجامع الحاكم(السخاوي، 1992: 164/5)، كما دخل إلى دمشق بصحبة السلطان الناصر فرج، وأخذ يتردد عليها بفترة مليئة بالفوضى السياسية، حتى عام (815هـ/1412م)، وتولى بها نظر وقف البيمارستان النوري وتدريس دار الحديث الأشرفية والمدرسة الإقبالية وعرض عليه الناصر فرج أثناء وجوده بالشام قضاء الشافعية لكنه رفض ذلك العرض(ابن تغري بردي، 1984: 417/1).

وهكذا فقد تولى المقريزي وظائف متعددة في مصر والشام، ورشح له بعض الوظائف التي رفضها، ويشير السخاوي إلى ذلك دون تعليل للأسباب بقوله: "ثم أعرض عن ذلك وأقام ببلده عاكفاً على الاشتغال بالتاريخ حتى اشتهر به ذكره"(السخاوي، 1992: 22/2)، وخلال ذلك سافر إلى مكة سنة (834هـ/ 1430م)، إذ حدث فيها ببعض مروياته وتصانيفه، واستغلّ وجوده بمكة في جمع معلومات لبعض مؤلفاته الصغيرة، التي قام بتبييضها عند عودته للقاهرة(المقريزي، 1995: 43؛ السخاوي، 1992: 22/2). ويبدو من استقراء الحوادث أن الإعراض عن تلك الوظائف كان قاسماً مشتركاً بين المقريزي وبين أرباب الدولة، وأن ذلك كان إثر مقتل الناصر فرج (ت 815هـ/ 1412م)، حيث ظل مؤرخنا إلى حين وفاته، لا يمسك وظيفة بيده سوى إقراء الحديث في القاهرة ومكة(عزالدين، 1990: 45).

ويشير أبو المحاسن (ت 874هـ/1470م)، إلى خلافاته مع أرباب الدولة، وعلى رأسهم الأشرف برسباي بقوله: "غير أن الشيخ تقي الدين المقريزي– رحمه الله– كان له انحرافات معروفة عنه، وهو معذور في ذلك، فإنه أحد من أدركنا من أرباب الكمالات في فنه، ومؤرخ زمانه، لا يُدانيه بذلك أحد، ومع هذا كله كان مبعوداً في الدولة، لا يدنيه السلطان مع حسن محاضرته وحلو منادمته، على أن الظاهر برقوق كان قد قرّبه ونادمه وولاه حسبة القاهرة في أواخر دولته، ومات الظاهر فلم يمش حاله على من جاء بعده من الملوك(ابن تغري بردي، 1984: 189/15).

وفي يوم الخميس سادس عشر رمضان سنة (845هـ/ 1441م) وافاه الأجل بعد مرض طويل، ودفن في القاهرة، تاركاً وراءه تراثاً ضخماً من المؤلفات المتنوعة التي زادت على مئتي مجلد كبار(السخاوي، 1992: 42/2؛ المقريزي، 1995: 45–64؛ العسقلاني، 1969: 172/1).

المقريزي ومنهج الكتابة في الخطط

عُرف فن كتابة الخطط، وهو نوع من الجغرافيا التاريخية الإقليمية (الطبوغرافيا) في العديد من بلدان العالم الاسلامي، إذ اشتملت مقدمات بعض الكتب التي أرّخت للمدن الإسلامية مثل تاريخ بغداد للخطيب البغدادي (ت 463هـ/ 1071م) وتاريخ دمشق لابن عساكر (ت 571هـ/ 1167م)، على أوصاف طبوغرافية لهذه المدن(المقريزي، 1995: 6).

وشهد هذا النوع من الكتابة التاريخية تطوراً كبيراً في مصر، حتى وصل إلى الاكتمال في كتاب الخطط للمقريزي، الذي بلغ بهذا العلم إلى ذروته، فهو إن لم يكن آخر المؤلفين في هذا الباب إلا أنه أعظمهم مكانة(كراتشكوفسكي، 1957: 476/2).

ويلاحظ أن التواريخ العالمية التي توجت وأعقبت عصر النضج السياسي العباسي، تلك التي تمثلت بتاريخ الرسل والملوك للطبري (ت 310هـ/ 923م) ومروج الذهب للمسعودي (ت 346هـ/ 957م)، تغيّرت مفاهيمها في الوحدة، فصارت مع مسكويه (ت 421هـ/ 1030م) تجارب الأمم المتعددة، ثم ضعف مفهوم التواريخ العالمية الواحدة نفسه، وغاب عن التأليف التاريخي انسجاماً مع الواقع السياسي الممزق، فلم تعد تظهر هذه التواريخ حتى نهاية الفترة العباسية، حين عادت من جديد مع ابن الأثير (ت 630هـ/ 1233م) في الكامل، ومع سبط بن الجوزي (ت 654هـ/ 1256م)، في مرآة الزمان(مصطفى، 1983: 349/3).

ولا شك في أنه كان للتحديات التي مرّ بها العالم الإسلامي بسبب الغزو الصليبي والمغولي ونتائجهما على الأوضاع الداخلية وعلى العقول والأذهان دور في إثارة الاهتمام الكبير من جديد بالتاريخ الشامل، إذ نلاحظ ذلك في عنوان تاريخ ابن الأثير (الكامل) كنوع من التاريخ والتذكير بتاريخ عالمي للأمة في تجربتها التاريخية(كوتراني، 2013: 62).

أما تاريخ المدن والأقاليم، فجاء نتيجة للانقسامات التي حدثت في كيان الخلافة الواحدة، وبالتالي نتيجة قيام سلطات وإمارات إقليمية في الجغرافية السياسية للعالم الإسلامي، مما أدى إلى تطوّر تقليد التاريخ المحلي في مصر في القرن التاسع الهجري، وتأليف عدة كتب تحتوي معلومات طبوغرافية وثقافية واقتصادية مرتبة ومصنفة، وهي الكتب المدونة بالخطط، وكان أعظم كتاب من هذا النوع هو كتاب الخطط للمقريزي(كوتراني، 2013: 64).

وقد أشار المقريزي في مقدمة كتابه (الخطط) إلى من سبقه من العلماء في الكتابة بالخطط، وبأن "أول من رتب خطط مصر وآثارها، وذكر أسبابها في ديوان جمعه، أبو عمر بن يوسف الكندي(السيوطي، 1967: 553/1)، ثم كتب بعده القاضي أبو عبدالله محمَّد بن سلامه القضاعي(الصفدي، 2000: 97/3) كتابه المنعوت بالمختار في ذكر الخطط والآثار، والذي مات في سنة سبع وخمسين وأربعمائة"(المقريزي، 1998: 11/1)، "ثم كان المنبّه بعد القضاعي على الخطط والتعريف بها تلميذه أبو عبدالله محمَّد بن بركات النحوي في تأليف لطيف(المقريزي، 1998: 11/1؛ السيوطي، 1964: 59/1–61). ثم كتب الشريف محمَّد أسعد الجواني(العسقلاني، 2002: 562/2) كتاب النقط بمعجم ما أشكل من الخطط، نبّه فيه على معالم قد جهلت وآثار قد دثرت، وآخر من كتب في ذلك القاضي تاج الدين محمَّد بن عبد الوهاب بن المتوج(العسقلاني، د.ت: 36/4)، كتاب اتعاظ المتأمل وايقاظ المتغفل في الخطط، بيّن فيه جملاً من أحوال مصر وخططها، وكتب القاضي محيي الدين بن عبدالظاهر(الكتبي، 1973: 179/2) كتاب الروضة البهية الزاهرة في خطط المعزية القاهرة، الذي فتح فيه باباً كانت الحاجة داعية اليه"(المقريزي، 1998: 11/1، 12).

ولا بدّ عند الحديث عن المقريزي والكتابة في الخطط من الإشارة إلى الإتهام الذي ساقه السخاوي (ت 902هـ/1497م) له، بأنه نقل جزءاً من كتابه الخطط عن كتابٍ صنّفه الأوحدي (ت 811هـ/1408م)، والسخاوي بالإضافة إلى وضعه معجماً ضخماً في السير ومؤلفات تاريخية أخرى، عُرف أيضاً بمحاولة أصيلة لوضع مقدمة في فن التوريخ عند العرب، وهو يشير إلى المقريزي غير مرة في مؤلفاته، مع ميل لم يفلح في إخفائه بالتقليل من شأنه واتهامه بالسرقة، ويشير إلى ذلك الاتهام للمقريزي بقوله: "وأقام ببلده عاكفاً على الاشتغال بالتاريخ حتى أشتهر ذكره وبعد فيه صيته، وصارت له فيه جُملة تصانيف كالخطط للقاهرة، وهو مفيد لكونه ظفر بمسودة الأوحدي فأخذها وزادها زوائد غير طائلة"(السخاوي، 1992: 22/2) ويكرر الاتهام في مؤلف آخر بقوله: "وكذا جمع خططها المقريزي وهو مفيد، قال لنا شيخنا إنه ظفر به مسودة لجاره الشهاب أحمد بن عبد الله بن الحسن الأوحدي، بل كان بيّض بعضه فأخذها وزاد عليه زيادات ونسبها لنفسه"(السخاوي، 1986: 266)، وأخيراً في ترجمته للأوحدي في ذلك المعجم نفسه يرجع السخاوي مرة أخرى إلى هذه التهمة، فيقول: "وبرع في القرآن والأدب وجمع مجاميع واعتنى بالتاريخ وكان لهجاً به وكتب مسودة كبيرة لخطط مصر والقاهرة تعب فيها وأجاد وبيّض بعضها، فبيضها التقي المقريزي ونسبها لنفسه مع زيادات"(السخاوي، 1992: 358/1). أمّا ما يضعف هذا الاتهام فإن المقريزي في كتابه درر العقود الفريدة في تراجم الأعيان المفيدة، قد تحدث في ترجمته للأوحدي وأعترف باستفادته منه، بقوله: "كان حافظاً لكثير من التاريخ لا

سيما أخبار مصر ...، علقت عنه جملة أخبار واستفدت منه، وأعانني بمسودات من خطه في خطط القاهرة ضمنتها لكتابي الكبير المسمى بكتاب المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار"(المقريزي، 2002: 185/1). والملاحظة الأخيرة تخفف كثيراً من حدة التهمة التي وجهها له السخاوي، إذ من الواضح أن المقريزي لم يحاول إخفاء ما يدين به للأوحدي، وبهذا يضحى من العسير أن تُبصر أين يقع الاتهام بعدم الأمانة(كراتشكوفسكي، 1957: 484/2).

وعليه فهل كانت ملاحظات السخاوي على المقريزي المفتقرة للدليل، تعبّر عن أرائه الشخصية أم إنه اعتمد على شهادة شيخه ابن حجر العسقلاني (ت 852هـ/ 1449م)، المحدث والمؤرخ الكبير، معاصر المقريزي وصديقه، وهذا الرأي الذي ينسبه السخاوي لم يعثر عليه في مؤلفات شيخه العسقلاني، الذي عبّر في مؤلفاته عن احترامه وتقديره للمقريزي(العسقلاني، 1998: 2).

والواضح أن المقريزي لا يولي حقيقة استعماله للأوحدي أهمية أكبر مما يوليها لاستعماله للمصادر الأخرى، التي حشد عدداً ضخماً منها في كتابه الخطط، كما أن المحاكمة الزمنية تشير إلى أن الأوحدي (ت 811هـ/ 1408م)، الذي لا نعلم شيئاً عن وجود مصنفة إلا من هذه الشذرات قد توفي قبل المقريزي بزمن طويل، وليس من الممكن عقلاً أن يكون المقريزي قد نقل عن الأوحدي شيئاً يتعلق بأحوال هذه المرحلة، والأوحدي قد توفي قبلها ولم يدرك شيئاً منها، وما كتبه المقريزي من خطط مصر والقاهرة منذ أوائل القرن الثامن حتى قبيل وفاته يشغل من مؤلفه أكثر من النصف، فإذا أضفنا إلى ذلك أن المقريزي يقتبس من أسلافه كُتّاب الخطط وغيرهم بطريق الإسناد، فإنه يصعب علينا أن نعتقد أن المقريزي وهو إمام عصره في التاريخ والرواية كان بحاجة إلى اختلاسه، خصوصاً أنّه استعرض تاريخ مصر من قبل في مؤلفات جليلة تشهد بفائق مقدرته وبراعته(عنان، 1999: 99–100؛ المقريزي، 1995: 8–20)، كما أن أخلاق السخاوي نفسه تجعلنا نقف موقف الحذر من كلامه عن المؤرخين الآخرين، إذ يعطي الواقع أن مهاجمة السخاوي لأكابر عصره وانتقاصه لأقدراهم دلالات تؤكد أن السخاوي لم يقف عند المقريزي وحده في الاتهام، ممّا يبدو أنّ اتهام السخاوي للمقريزي وانتقاصه لمجهوده التاريخي باطل، يطبعه التحامل والتناقض، وتدحضه الحقائق والوقائع المادية، وقد أخضع محمَّد عبد الله عنان، وسعيد عاشور جميع تلك المسألة لتحليل عميق وشامل، وخرجا بنتائج منطقية وضعت اتهامات السخاوي بسياقها السليم (كراتشكوفسكي، 1957: 485/2؛ عاشور، 1983: 169).

ويبدو أن التاريخ قد تملك على المقريزي فعلاً شغاف قلبه، وترك خلفه عدداً كبيراً من المصنفات التاريخية(عنان، 1999: 95–103؛ عزالدين، 1990: 51) وإذا ألقينا نظرة على ثبت مؤلفاته العديدة، تبين لنا هدفه الأساسي وخطته، فالمركز بالنسبة له يحتله تاريخ مصر الطبوغرافي والمحلي، ولكنه في ذات الوقت لا يهمل جيرانها إلى حدود المغرب والحبشة وبلاد العرب الجنوبية، كما يولي أهمية خاصة للمسائل التاريخية والحضارية، وكرّس المقريزي لمصر سلسلة كبيرة من المصنفات تشمل جميع الأنماط التاريخية بالتقريب، فقد كتب في تاريخ الفاطميين، وفي تاريخ الأيوبيين والمماليك، ووضع معجماً كبيراً في السير لم يتمه، هذا بخلاف عدد من الرسائل في موضوعات متنوعة(المقريزي، 1998: 4، 5).

وقد أشار المقريزي لمركزية مصر عنده في مقدمته لكتاب الخطط بقوله: "وكانت مصر هي مسقط رأسي وملعب أترابي ومجمع ناسي... ولا زلت منذ شدوت العلم وأتاني ربي الفطانة والفهم، أرغب في معرفة أخبارها وأحب الاغتراف من آبارها، وأهوى مساءلة الركبان من سكان ديارها"(المقريزي، 1998: 6/1). وعند حديثه عن الرؤوس الثمانية لكتابه والغرض من تأليفه، يشير لذلك بشكل صريح وملء بالعاطفة بقوله: "وأما الغرض من هذا التأليف، فإنه جمع ما تفرقّ من أخبار أرض مصر وأحوال سكانها كي يلتئم من مجموعها معرفة جمل أخبار إقليم مصر، وهي التي إذا حصلت في ذهن إنسان، اقتدر على أن يُخبر في كل وقت بما كان في أرض مصر من الآثار الباقية والبائدة، ويقصّ أحوال من ابتدأها ومن حلها، وكيف كانت مصائر أمورهم وما يتصل بذلك على سبيل الاتباع لها بحسب ما تحصل به الفائدة الكلية بذلك الأثر"(المقريزي، 1998: 8/1).

وقد بدأ المقريزي في كتابة خططه تقريباً عام (818هـ/ 1415م) واستمر في كتابتها حتى قبل وفاته بعامين، أي حتى عام (843هـ/ 1441م)، وفي تلك الأثناء لم يكن المقريزي منقطعاً انقطاعاً تاماً لتأليف هذا الكتاب، وإنما دوّن كتباً أخرى عديدة(كراتشكوفسكي، 1957: 481/2)، وترد في كتابه العديد من الإشارات التي تدل على زمن كتابته له كقوله: "قال مؤلفه: وكان بأرض مدين عدة مدائن كثيرة قد باد أهلها، وخربت وبقي منها إلى يومنا هذا وهو سنة خمس وعشرين وثمانمائة، نحو الأربعين مدينة قائمة"(المقريزي، 1998: 528/1)، وقوله: "وقال ابن المتوج: وعمود المقياس موجود في زقاق مسجد ابن النعمان، قلت وهو باق إلى يومنا هذا، أعني سنة عشرين وثمانمائة"(المقريزي، 1998: 790/1)، وقوله: "ثم لما استبد الملك المؤيد شيخ بالمملكة، جلس أيضاً للنظر في المظالم كما جلسا، والأمر على ذلك مستمر إلى وقتنا هذا، وهو سنة تسع عشر وثمانمائة"(المقريزي، 1998: 53/3).

ويبدو أن طول المدة التي استغرقها تأليف كتاب الخطط، يرجع إلى أن هذا الكتاب ليس من كتب التاريخ التي تقتصر على الحوليات وأحداث السنين سنة بعد أخرى، وإنما هو موسوعة عمرانية جغرافية تاريخية اقتصادية اجتماعية فنية حضارية، بكل معنى الكلمة، تناول فيه المقريزي بلاد مصر، فعالج مدنها وآثارها ومعالمها الرئيسية واصفاً كلاً منها وصفاً دقيقاً متتبعاً تاريخ كل أثر من العصور الوثنية أو القبطية إلى العصور الإسلامية حتى أيامه(عاشور، 1983: 169؛ عزالدين، 1999: 144-146).

ويمكن أن نصف كتاب الخطط بأنه تاريخ لمصر والقاهرة ومجتمعاتها، والواقع أن القاهرة وخططها وتطوراتها الجغرافية وشوارعها، بل وأرضها وأسواقها وأحياءها ومساجدها وشوارعها ورياضها ومدارسها، وكل ما احتوت من معاهد وصروح ودور عامة تشغل فراغاً كبيراً في الخطط(عنان، 1999: 90).

لقد كانت الخطط ثمرة لعاطفة المقريزي تجاه مصر، وما أوحت إليه من مثابرة وعناية وجلد، ويبدو أنه قضى أعواماً طويلة في البحث والدرس وجمع المذكرات والأخبار، قبل أن تستقر في ذهنه فكرة تدوين الخطط، فهو يشير لذلك بقوله: "فقيدت بخطي في الأعوام الكثيرة، وجمعت من ذلك فوائد قل ما يجمعها كتاب، أو يحويها لعزتها وغرابتها إهاب، إلا أنها ليست بمرتبة على مثال، ولا مهذبة بطريقة ما نسج على منوال، فأردت أن أُلخص منها أنباء ما بديار مصر"(المقريزي، 1998: 6/1).

مخطط الكتاب ومنهجه:

يبدأ المقريزي كتابه بمقدمة شرح فيها أفكاره وخطته، ويستهل المقدمة بعبارات دينية من القرآن الكريم والسنة النبوية، بعد أن يورد الصيغ المعروفة التي تطالعنا عند معظم المؤلفين في عصره ينتقل إلى جوهر موضوعه، فيقول: "وبعد فإن علم التاريخ من أجلّ العلوم قدراً وأشرفها عند العقلاء مكانة وخطراً، لما يحويه من المواعظ والإنذار بالرحيل إلى الآخرة عن هذه الدار، والاطلاع على مكارم الأخلاق ليقتدي بها، واستعلام مذام الفعال ليرغب عنها أولو النهي" (المقريزي، 1998: 5/1).

ويظهر هنا الهدف الأخلاقي والتربوي من كتابة التاريخ، وأهميته من أجل الاستفادة منه في مجال العبرة والدروس، وتساعد على تحقيق الغايات في الآخرة. ثم يتحدث المقريزي عن المجال المكاني المستهدف في تاريخه، ويشير إلى أن القاهرة ومصر هي المستهدف الأساسي لكتابه، مع الإشارة إلى ما يرتبط بهما من أماكن أخرى بقوله: "وكانت مصر هي مسقط رأسي... ولا زلت منذ شدوت العلم وأتاني ربي الفطانة والفهم، أرغب في معرفة أخبارها... فأردت أن ألخص منها أنباء ما بديار مصر من الآثار الباقية، عن الأمم الماضية والقرون الخالية، وما بقي بفسطاط مصر من المعاهد غير ما كاد يفنيه البلى والقدم، ولم يبق أن يمحو رسمها الفناء والعدم، وأذكر ما بمدينة القاهرة من آثار القصور الزاهرة، وما اشتملت عليه من الخطط والأصقاع وحوته من المباني البديعة الأوضاع، مع التعريف بحال من أسس ذلك من أعيان الأماثل والتنويه بذكرى من شادها من سراة الأعاظم والأفاضل، وأنثر خلال ذلك نكتاً لطيفة وحكماً بديعة شريفة، من غير إطالة ولا إكثار"(المقريزي، 1998: 6/1).

ويوضح المقريزي غرضه من تأليف كتاب الخطط بأنه "جمع ما تفرق من أخبار أرض مصر وأحوال سكانها، يلتئم من مجموعها معرفة جُمل أخبار إقليم مصر"(المقريزي، 1998: 8/1)، أما سبب اختياره لعنوان الكتاب فيفسره قوله: "فإني لما فحصت عن أخبار مصر وجدتها مختلطة متفرقة فلم يتهيأ لي إذ جمعتها أن أجعل وضعها مرتباً على السنين لعدم ضبط وقت كل حادثة، لا سيما في الأعصر الخالية، ولا أن أضعها على أسماء النّاس لعلل أخرى تظهر عند تصفح هذا التأليف، فلهذا فرقتها في ذكر الخطط والآثار، فاحتوى كل فصل منها على ما يلائمه ويشاكله وصار بهذا الاعتبار قد جمع ما تفرق وتبدد من أخبار مصر... فلذلك سميته كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار"(المقريزي، 1998: 9/1)، وعن تصنيف الكتاب فيقرّر المقريزي أنّه ينتمي إلى علم الأخبار، ومرتبته من جملة أحد قسمي العلم اللذين هما العقلي والنقلي، فينبغي أن يتفرغ لمطالعته وتدبر مواعظه بعد إتقان ما يجب معرفته من العلوم النقلية والعقلية(المقريزي، 1998: 9/1).

ويشير إلى أن مخطط الكتاب يشمل سبعة أجزاء وهي: أولها: تضمن على جمل من أخبار أرض مصر وأحوال نيلها وخراجها وجبالها، وثانيهما: تضمن على كثير من مدنها وأجناس أهلها، وثالثهما: تضمن على أخبار فسطاط مصر ومن ملكها، ورابعها: تضمن على أخبار القاهرة وخلائفها، وما كان لهم من الآثار، وخامسها: تضمن على ذكر ما أدركت عليه القاهرة وظواهرها من الأحوال، وسادسها: تضمن على ذكر قلعة الجبل وملوكها، وسابعها: تضمن على ذكر الأسباب التي نشأ عنها خراب إقليم مصر(المقريزي، 1998: 10/1)، واختتم المقدمة بالحديث عن أنحاء التعاليم في كتابه وأنه سلك فيه ثلاثة أنحاء، وهي: النقل من الكتب المصنفة، والرواية عمن أدرك، والمشاهدة لما عاينه(المقريزي، 1998: 10/1؛ المقريزي، 1998: 64-67).

ولم يقتصر المقريزي في كتابه على الخطط فقط، بل أرّخ لمصر من خلالها، معرفاً ومتتبعاً لحكامها من ملوك وسلاطين

وخلفاء وأمراء، وبأحوالها، منذ ما قبل الطوفان حتى سلطنة الأشرف برسباي، كما يمكن أن يجرد من هذا الكتاب تاريخ موجز ومتتابع لمصر في الاسلام طيلة ثمانية قرون، فضلاً عن الترجمة للشخصيات المتصلة بما تردد في الكتاب من آثار وعمائر مع ذكر الحوادث المرتبطة بها.

لقد جمع كتاب الخطط بين العديد من المباحث التاريخية والأثرية والجغرافية واللغوية والفقهية والاقتصادية والاجتماعية، مما جعله موسوعة لتاريخ مصر السياسي والعمراني والحضاري، وقد اتسعت رقعته المكانية لتشمل على كافة أرجاء مصر، ورقعته الزمانية لتشتمل على تاريخها فيما بين عصر الفراعنة وعصره (عز الدين، 1990: 147).

لقد عاش المقريزي في فترة نشطة حافلة بالأحداث، وقد دأب خلال كتابته للخطط على جعله سجل للأحداث وليس مجرد سرد لها، فقد تحدث عن النشاط الإنساني بكل تجلياته من خلال رصده للمكان والجغرافية، ونشاط هذا الإنسان خلال هذا الزمان وعبر هذه الجغرافيا، وعلى الرغم من بعض المستغرب من الأخبار التي ذكرها ودافع عن بعضها، إلا أن كتابه يحفل بالنقد والتحليل واستخدام البراهين والأدلة في التعامل مع مادته التاريخية، وقد فسر الكثير من الأحداث في سياق الأسباب المنطقية ومسوغاتها الدنيوية أو العقلية، وحاول تفسير الأحداث والوقوف على عللها السياسية والاقتصادية والدينية والجغرافية، مبيناً الأسباب القريبة والبعيدة لتطور الأحداث بالسياق الذي تطورت به، كما ربط في العديد من التحليلات بين هذه العوامل وتداخلها مع بعض. فنجده يستخدم كثيراً عبارات يُعلقّ بها على الأخبار، ناقداً للخبر ومشككاً بدقته أو مصداقيته ومن ذلك قوله: "وهذه أقوال لا دليل على صدقها"(المقريزي، 1998: 29/1)، وقوله: "وهذا من أعجب ما يؤرخ"(المقريزي، 1998: 177/1)، وقوله: "وغير مسلم أن تكون كما ذكر"(المقريزي، 1998: 167/1)، وقوله: "وهذا الخبر أظنه غير صحيح"(المقريزي، 1998: 53/1)، وقوله: "وهذا القول وهم"(المقريزي، 1998: 90/1)، وقوله: "وقالوا في ذلك أقوالاَ متباينة أكثرها غير صحيح"(المقريزي، 1998: 352/1)، وقوله: "وقد حكى عنه أهل مصر حكايات لا تصدقها العقول"(المقريزي، 1998: 370/1)، وقوله: "فقالوا بذلك قولاً غريباً"(المقريزي، 1998: 698/1)، وقوله: "ومن خرافاتهم"(المقريزي، 1998: 731/1)، وقوله: "وليس الأمر كما زعم"(المقريزي، 1998: 98/2)، وقوله: "وهو خطأ"(المقريزي، 1998: 395/2)، وقوله: "ولا عبرة فيما تقوله العامة"(المقريزي، 1998: 401/1)، وقوله: "وهذا الخبر فيه أوهام"(المقريزي، 1998: 395/1)، وقوله: "ولا أعرف لهم مستنداً في ذلك"(المقريزي، 1998: 595/2).

كما يوجِّه المقريزي في خططه النقد للسلوكيات والسياسات الخاطئة، مبيناً ومحللاً نتائجها وسلبياتها على البلاد والعباد، ومن ذلك نقده الاحتفالات بيوم النوروز في مصر إذ "يتعاطى الناس فيه اللهو واللعب ما يخرجون عن حد الحياء والحشمة، إلى الغاية من الفجور والعهر"(المقريزي، 1998: 746/1). كما ينتقد سياسة السلطان الظاهر برقوق وولاته ويعتبر أنها السبب في خراب بلاد الصعيد ويشير لذلك بقوله: "وبلغ من عمارة الصعيد أن الرجل في أيام الناصر محمَّد بن قلاوون وما بعدها، كان يمر من القاهرة إلى أسوان فلا يحتاج نفقه، وآل أمره الآن إلى ألا يجد الرجل أحداً فيما بين القاهرة واسوان يُضيفه لضيق الحال، ثم تلاشى أمر بلاد الصعيد وتزايد تلاشيه في أيام الظاهر برقوق لجور الولاة"(المقريزي، 1998: 534/1)، وأشار إلى الفساد المالي الذي عمّ بالدولة، وأدى إلى خراب مصر، في أيام الناصر فرج "صار يُجبى من البلاد مال عظيم ولا يُصرف منه شئ البتة، بل يُرفع إلى السلطان ويتفرق كثير منه بأيدي الأعوان ويسخر أهل البلاد في عمل الجسور، فيجيء الخلل والخراب"(المقريزي، 1998: 290/1)، كما ينتقد سياسة الناصر فرج بالعبث بالنقود، إذ "كان يجتهد في خلاص الذهب وتحرير عياره، إلى أن أفسد الناصر فرج ذلك بعمل الدنانير الناصرية فجاءت غير خالصة... وأكثر من ضرب الفلوس بالقاهرة والاسكندرية، فبطلت الدراهم من مصر، وصارت معاملة أهلها إلى اليوم بالفلوس"(المقريزي، 1998: 315/1).

ويبين المقريزي النتائج الكارثية التي ترتبت على مصر، بسبب سيطرة تيمورلنك على الشام، التي ترافق معها في مصر ظلم الحكام وفسادهم وضعفهم بقوله: "وأدى اتضاع أمور ملوك مصر وسوء حال الرعية واستيلاء الفقر والحاجة والمسكنة على الناس، وكثرة تنوع المظالم الحادثة من أرباب الدولة بمصادرة الجمهور، وتتبع أرباب الأموال واحتجاب ما بأيديهم من المال بالقوة والقهر والغلبة، وطرح البضائع مما يتجر فيه السلطان وأصحابه على التجار والباعة بأغلى الأثمان، إلى غير ذلك مما لا يتسع لأحد ضبطه، ولا تتسع الأوراق حكايته لكّثر الخراب"(المقريزي، 1998: 62/2).

وتحدث عن ظهور سلوكيات اجتماعية مبتذلة في المجتمع المصري، تعلقت بالزي وبعض العادات، وفسرها بطريقة تحليلية منطقية انتقادية بقوله: "فحدث في أيام الملك الناصر فرج منها شيء، عُرف بالطواقي الجركسية يكون ارتفاع عصابة الطاقية منها نحو ثلثي ذراع وأعلاها مُدور مُقبب، وبالغوا في تبطين الطاقية بالورق والكثبرة... وهم على استعمال هذا الزي إلى اليوم، وهو من اسمج ما عانوه، ويشبه الرجال في لبس ذلك بالنساء لمعنيين: أحدهما: أنه فشا في أهل الدولة محبة الذكران، فقصد نساؤهم التشبه

بالذكران ليستملن قلوب رجالهن، فاقتدى بفعلهن في ذلك عامة نساء البلدة، وثانيهما: ما حدث بالناس من الفقر ونزل بهم من الفاقة فاضطر حال نساء مصر إلى ترك ما أدركنا فيه النساء من لبس الذهب والفضة والجواهر ولبس الحرير حتى لبسن الطواقي، ومن تأمل أحوال الوجود، عرف كيف تنشأ أمور الناس في عاداتهم وأخلاقهم ومذاهبهم"(المقريزي، 1998: 603/2، 604).

ويوجه المقريزي نقداً شديداً للحال الذي وصلت إليه مؤسسات الدولة في مصر في عصره، ومن ذلك نقده للحال الذي وصل إليه منصب الحاجب، فيصفه بأنه: "صار الحاجب اليوم اسماً لعدة جماعة من الأمراء ينتصبون للحكم بين الناس، لا لغرض، إلا لتضمين أبوابهم بمال مقرر في كل يوم على رأس نوبة النقباء، وفيهم غير واحد ليس لهم من الإمرة إقطاع، وإنما يرتزقون من مظالم العباد(المقريزي، 1998: 81/3).

كما وصف الحال الذي وصلت إليه المماليك السلطانية، وانتقد بشدة الحال الذي وصلوا إليه إذ "صارت المماليك السلطانية أرذل الناس وأدناهم، وأخسهم قدراً وأشحهم نفساً وأجهلهم بأمر الدنيا وأكثر إعراضاً عن الدين، ما فيهم إلا من هو أزنى من قرد، والص من فأرة، وأفسد من ذئب، لا جرم إن خربت أرض مصر والشام من حيث يصب نهر النيل إلى مجرى الفرات، بسوء إيالة الحكام وشدة عبث الولاة، وسوء تصرف أولي الأمر حتى إنه ما من شهر إلا ويظهر من الخلل العام ما لا يتدارك فرطه"(المقريزي، 1998: 67/3).

ويبّين أن الانحطاط قد وصل الجيش واصفاً ذلك بقوله:"ثم انحطت اليوم هذه الرتبة وصار نقيب الجيش عبارة عن كبيرمن النقباء المعدين لترويع خلق الله وأخذ أموالهم بالباطل على سبيل القهر"(المقريزي، 1998: 89/3).

كما وجه نقداً لاذعاً للحال الذي وصلت إليه الصوفية، وممارساتهم التي أفرغت التصوف من مضمونة، ويصفهم بأنهم "قوم من المفتونين لبسوا ألبسة الصوفية لينسبوا إليهم وما هم منهم بشيء، بل هم في غرور وغلط يتسترون بلبسة الصوفية توقياً تارة ودعوة أخرى، وينتهجون مناهج أهل الإباحة ويزعمون أن ضمائرهم خلصت إلى الله تعالى، وأن هذا هو الظفر بالمراد، والارتسام بمراسم الشريعة، رتبة العوام والقاصرين الأفهام، وهذا هو عين الالحاد والزندقة والابعاد... ثم تلاشى الآن حال الصوفية، حتى صار من سقط المتاع، لا ينسبون إلى علم ولا ديانة"(المقريزي، 1998: 568/3، 569).

ولا يكتفي المقريزي في تعامله مع الأخبار بنقد الخبر أو التشكيك به، وإنما يعمد إلى تصحيحه وتقديمه كما يراه، ومن ذلك حديثه عن خبر ولادة عيسى عليه السلام، في قرية إهناس من نواحي صعيد مصر، إذ علق على ذلك بقوله: "وهذا القول وهم، فإنه لا خلاف بين علماء الأخبار من أهل الكتاب ومن يعتمد عليه من علماء المسلمين، أن عيسى عليه السلام ولد بقرية ببيت لحم من بيت المقدس"(المقريزي، 1998: 90/1). ومن ذلك حديثه عن الأخبار التي أوردها عن ماء النيل، إذ ذكر العديد من الروايات والآراء ثم أختتم الخبر برأيه في الأمر بقوله: "وحاصله أن الماء تتغير كيفيته بما يمر عليه لا أن ذاته ردية، فلا يهولنك ما تسمع، فما الأمر إلا ما قلت لك"(المقريزي، 1998: 190/1).

وفي حديثه عن الأخبار المتعلقة بالأهرامات وبناءها يسرد العديد من الآراء والروايات، ثم يقدم روايته وتفسيره، ويستهل ذلك بقوله: "وأعظم الأهرام الثلاثة التي هي اليوم قائمة تجاه مصر، وقد اختلف الناس في وقت بنائها والسبب في بنائها، وقالوا في ذلك أقوالاً متباينة أكثرها غير صحيح، وسأقص عليك نبأ ذلك ما يشفي ويكفي"(المقريزي، 1998: 319/1).

ومن ذلك حديثه عن الأخبار التي تتعلق في نسب الخلفاء الفاطميين، إذ أشار إلى الآراء التي تحدثت عن نفي نسبهم إلى الحسين بن علي بن أبي طالب، وقابله برأي من يثبت ذلك، ثم يقدم الأدلة التي تثبت رأيه هو بالأمر، والذي يؤيد نسبهم إلى الحسين بن علي ومن ذلك قوله: "وهذه أقوال إن انصفت تبين لك أنها موضوعة، فإن بني علي بن أبي طالب رضي الله عنه، قد كانوا إذ ذلك على غاية من وفور العدد وجلالة القدر عند الشيعة، فما الحامل لشيعتهم على الإعراض عنهم والدعاء لابن مجوسي أو لابن يهودي، فهذا مما لا يفعله أحد لو بلغ الغاية من الجهل والسخف، وإنما جاء ذلك من قبل ضعفة خلفاء بني العباس عندما غصّوا بمكان الفاطميين... وعجزت عساكر بني العباس على مقاومتهم فلاذت حينئذ بتغيير الكافة عنهم بإشاعة الطعن في نسبهم وبث ذلك عنهم"(المقريزي، 1998: 27/2). ويصحح العديد من أسباب التسميات للأسواق والشوارع والخطط في مصر، ومن ذلك حديثه عن سويقة أمير الجيوش: "كانت تعرف بسوق الخروقيين فيما بعد زوال الدولة الفاطمية، وأدركت الناس إلى هذا الزمن الذي نحن فيه لا يعرفون هذا السوق إلا بسوق أمير الجيوش ويعبرون عنه بصيغة التصغير، ولا أعرف لهم مستنداً في ذلك، والذي تشهد به الأخبار، أن سوق أمير الجيوش هو السوق الذي برأس حارة برجوان"(المقريزي، 1998: 595/2).

كما ناقش الأخطاء التي وقع فيها أهل مصر في تحديد قبلة العديد من المساجد، محللاً أسباب هذه الأخطاء بطريقة فلكية

جغرافية، يسوق من خلالها الأدلة والبراهين في تحليله للأمر، ويختتم تفسيره للطريقة الصحيحة في تحديد القبلة في مصر بقوله: "وهذا الأمر يدركه الحس، ويشهد لصحته العيان"(المقريزي، 1998: 185/3) على ما في هذه المسألة من حساسية عند المسلمين، ويخاطب القارئ مطالباً إياه بعدم التسرع بالأحكام وإعمال العقل وعدم تقليد الآخرين، بقوله: "فروضّ نفسك على التمييز وعود نظرك التأمل، واربأ بنفسك أن تُقاد كما تُقاد البهيمة، بتقليدك من لا يؤمن عليه الخطأ فقد نهجت لك السبيل في هذه المسألة، وألنت لك من العقول وقربت لك حتى كأنك تُعاين الأقطار وكيف موقعها من مكة"(المقريزي، 1998: 186/3).

وفي نقده للأخبار التي تحدثت عن الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله وسبب مقتله(المقريزي، 1998: 250/3)، فبعد أن قدم رواية أخرى لمقتله اختتم حديثه بالقول: "وهذا هو الصحيح في خبر مقتل الحاكم، لا ما تحكيه المشارقة في كتبهم من أن أخته قتلته"(المقريزي، 1998: 251/3).

ومن التصحيحات المتعلقة بالمساجد، خبره عن المسجد المعروف بزرع النوى الذي "تزعم العامة أنه بني على قبر رجل يُعرف بزرع النوى، وهو من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهذا أيضاً من افتراء العامة الكذب، فإن الذين أفردوا أسماء الصحابة رضي الله عنهم... لم يذكر أحد منهم صحابياً يُعرف بزرع النوى"(المقريزي، 1998: 558/3).

وفي مقدمة كتاب الخطط أشار المقريزي إلى أنه سيتبع منهج معتدل في التعامل مع الأخبار التي لا يخدم سردها أهداف الكتاب ومنهجه والغرض منه، وتعهد بعدم الاستطراد في سرد الأحداث فلا: "إطالة ولا إكثار ولا إجحاف مخل بالغرض ولا اختصار، بل وسط بين الطرفين، وطريق بين بين"(المقريزي، 1998: 6/1)، ويجسد ذلك استخدامه لمنظومة من العبارات التي تشير إلى منهجه في ذلك كقوله: "وقد قلنا في ماء النيل كفاية"(المقريزي، 1998: 136/1) وقوله: "ولحساب ذلك كتب موضوعه وفيما ذكر كفاية"(المقريزي، 1998: 24/1)، وقوله: "وله في بنيانها أخبار طويلة وسياسات كرهنا تطويل كتابنا بها"(المقريزي، 1998: 425/1)، وقوله: "وغير ذلك مما هو معروف في موضعه من العلم الرياضي"(المقريزي، 1998: 635/1)، وقوله: "وقد اختصرت أسماء الضياع التي ذكرها لخراب أكثرها الآن"(المقريزي، 1998: 693/1)، وقوله: "وله خبر طويل عنهم ملخصه ما أنت تراه"(المقريزي، 1998: 738/1)، وقوله: "وكانت له معهم عدة أخبار مذكورة في تاريخ رومة"(المقريزي، 1998: 740/1)، وقوله: "في خبر طويل ذكره أهل التفسير"(المقريزي، 1998: 743/1)، وقوله: "ولهم في ذلك أعمال مذكورة في أخبار بغداد"(المقريزي، 1998: 117/2)، وقوله: "وقد لخصت من أمر الدعوة طرفاً، أحببت إيراده هنا"(المقريزي، 1998: 123/2)، وقوله: "وتحتج لذلك بما هو معروف في كتبهم مما لا يسع هذا الكتاب حكايته لطوله"(المقريزي، 1998: 128/2)، وقوله: "ولا يحتمل هذا الكتاب بسط القول في هذا المعنى"(المقريزي، 1998: 132/2)، وقوله: "ولهم في ذلك مصنفات كثيرة منها اختصرت ما تقدم ذكره"(المقريزي، 1998: 133/2)، وقوله: "ولهم في ذلك وصايا كثيرة أضربنا عنها خشية الإطالة وفيما ذكرناه كفاية لمن عقل"(المقريزي، 1998: 136/2)، وقوله: "وغيرهم ممن يطول ذكره"(المقريزي، 1998: 425/3)، وقوله: "وسأذكر ما بديار مصر من المدارس وأعرف بحال من بناها على ما أعتدته في هذا الكتاب من التوسط دون الاسهاب"(المقريزي، 1998: 437/3)، وقوله: "سالكاً فيه سبيل التوسط في القول بين الإكثار والاختصار"(المقريزي، 1998: 90/2).

وقد أظهر المقريزي قدرة على تقييم الأشخاص ونقدهم بالإيجاب أو بالسلب، مطلقاً عليهم الأحكام التي تتضمن الموعظة والعبرة، لتجنب سلوكياتهم السلبية والخاطئة، والاستفادة من سيرهم الايجابية، ومن ذلك قوله: "وكان أميراً كبيراً مقدماً عظيماً وافر الحرمة عند الملوك وكان عالي الهمة عزيز، واسع الكرم شجاعاً، أبي النفس"(المقريزي، 1998: 604/1)، وقوله: "وهو من دهاة الناس وشياطين الكتاب"(المقريزي، 1998: 867/1)، وقوله: "وفحش أمره وساءت سيرته وكثر تجريه على الدماء واتلافه الأموال"(المقريزي، 1998: 48/2)، وقوله: "وكان عاقلاً محسناً إلى الناس كاتباً بليغاً"(المقريزي، 1998: 96/2)، وقوله: "وكان شديد الهيبة وافر الحرمة مخوف السطوة"(المقريزي، 1998: 103/2)، وقوله: "وكان من خير أهل زمانه رياضة وديانة وطيب مقال"(المقريزي، 1998: 502/2)، وقوله: "وكان حسن السياسة رضي الخلق، كثير السكون، جيد السيرة، جميل الصورة، محباً للمداراة"(المقريزي، 1998: 533/2)، وقوله: "وعُرف بالشجاعة والنجدة وإصابة الرأي وجودة الرمي وثبات الجأش"(المقريزي، 1998: 576/2)، وقوله: "وكان هذا السلطان ترعد الفرائض لمهابته، وتزلزل الأرض لموكبه، يجلس بنفسه لإنصاف رعيته، وفيه تواضع ويُجيد علم المعقول ولذته في الرياضة وتأديب النفس"(المقريزي، 1998: 781/2)، وقوله: "وكان ظلوماً غشوماً سفاكاً للدماء أفنى عوالم كثيرة بغير ذنب"(المقريزي، 1998: 125/3)، وقوله: "وكان جريئاً على سفك الدماء وارتكاب المحظورات واستحسان القبائح"(المقريزي، 1998: 257/3).

و يترافق في تقنياته لسرد الخبر التاريخي، مفردات وعبارات خاصّة تظهر في افتتاحية معظم الأخبار وخاتمتها، فهو يختار

عنواناً للخبر ضمن خطة كتابه وأغراضه، ثم يستفتح الخبر بعبارة، ويختتمه بعبارة، ومن ذلك قوله: "اعلم أنه"(المقريزي، 1998: 14/1، 696)، وقوله: "اعلم أن"(المقريزي، 1998: 46/1، 153، 210، 350، 430، 572)، وقوله: "ذلك تقدير العزيز العليم وتدبير الخبير الحكيم لا إله إلا هو"(المقريزي، 1998: 23/1)، وقوله: "والله أعلم"(المقريزي، 1998: 53/1، 122، 207، 216، 432) (المقريزي، 1998: 703/1)، وقوله: "وهذا ما قيل والله أعلم"(المقريزي، 1998: 123/1)، وقوله: "والله تعالى أعلم بالصواب"(المقريزي، 1998: 405/1، 557/2، 674، 814، 140/3)، وقوله: "والله أعلم بكيفية ذلك"(المقريزي، 1998: 122/1)، وقوله: "نسأل الله حسن الخاتمة"(المقريزي، 1998: 534/1)، وقوله: "ولله عاقبة الأمور"(المقريزي، 1998: 788/1)، وقوله: "ولله غيب السماوات"(المقريزي، 1998: 703/1)، وقوله: "ولا حول ولا قوة إلا بالله"(المقريزي، 1998: 111/3)، وعلى العموم تكون العبارة الختامية للخبر تتناسب مع سياق الخبر والموضوع، الذي تحدث عنه، وكأنه عبر هذه العبارة يذكر القارئ بالموعظة والعبرة الموجودة في متن الخبر، وضرورة الاستفادة منها والتذكير بتأثير الخالق على الأحداث.

لقد كرّس المقريزي كتابه من أجل تتبع مواطن العبرة والموعظة، واعتبر أن القيمة الكبرى للتاريخ أن يستفيد منه الناس في حاضرهم، كما ينطوي الكتاب على عبر أخلاقية لتعزيز سلوكيات معينة ورفض أخرى، فعنوان الكتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، يشير إلى تلك الأهداف بشكل صريح، كما أنه في المقدمة أشار إلى خطورة علم التاريخ لما يحويه من "المواعظ والأنذار"(المقريزي، 1998: 5/1)، كما أن الأخبار والحوادث والتغييرات وسيلة يمكن أن تقدم للمتفكرّ بها العبر العظيمة، "فتتهذب بتدبر ذلك نفسه وترتاض أخلاقه، فيحب الخير ويفعله، ويكره الشر ويتجنبه، ويعرف فناء الدنيا فيحظى بالإعراض عنها والاقبال على ما يبقى"(المقريزي، 1998: 9/1).

وعلى امتداد كتابه ترد العديد من الإشارات والتنبيهات المباشرة وغير المباشرة، لتحقيق ذلك الهدف ومن ذلك قوله: "وكل منهما يدافع الآخر فلا يُطيقه حتى صارا متمانعين عبرة لمن اعتبر"(المقريزي، 1998: 167/1)، وقوله: "وهذه موعظة من الله لمن توسط الناس بالسوء"(المقريزي، 1998: 287/1)، وقوله: "وكلام كثير يرى فناء الدنيا ويمنع من الاغترار بها والسكون إليها"(المقريزي، 1998: 419/1)، وقوله: "وكان من أمر هذه الثلاث معارك عبرة لم اعتبر ووعظ لمن اتعظ"(المقريزي، 1998: 426/1)، وقوله: "وذكر في سبب كونه خبر فيه معتبر"(المقريزي، 1998: 513/1)، وقوله: "وكان خبره عبرة لمن اعتبر"(المقريزي، 1998: 23/3)، وقوله: "ومن غريب ما يتعظ به الأريب"(المقريزي، 1998: 276/3)، وقوله: "فاعتبر ما قصصته عليك حال الترف الذي كان فيه أهل مصر، ولا تتخذ حكاية ذلك هزوءً تسخر منه، فتكون ممن لا تنفعه المواعظ، بل يمر بالآيات معرضاً غافلاً فتُحرم الخير"(المقريزي، 1998: 585/2)، وقوله: "وخربت قطائع أحمد بن طولون في الشدة العظمى، زمن الخليفة المستنصر وهلك جميع من كان بها من الساكنين، وكانت نيفاً على مئة ألف دار، نزهة للناظرين محدقة بالجنان والبساتين، والله يرث الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين"(المقريزي، 1998: 902/1)، وقوله: "ثم لم يزالوا في افتراق واختلاف حتى زالت دولتهم"(المقريزي، 1998: 272/1).

وفي حديثه عن الوباء والبلاء والفتن والخراب الكبير الذي أصاب مصر وصولاً إلى عام ست وسبعين وسبعمائة، حيث "خرب كثير من عامر مصر، ولم يزل يخرب شيئاً بعد شيء إلى سنة تسعين وسبعمائة، فعظم الخراب، وشرع الناس في هدم دور مصر وبيع أنقاضها"، ويختتم حديثه عن هذه الكوارث التي أصابت مصر وأهلها بالآية الكريمة: "وتلك القرى أهلكناهم لما ظلموا وجعلنا لمهلكهم موعداً"(المقريزي، 1998: 935/1؛ الكهف، الآية: 59).

وفي نص آخر صريح أشار المقريزي إلى العلاقة بين الظلم والفساد، والعقاب الإلهي الذي يحل بمن ينحرف عن طريق الصلاح والحق والخير والعدل وذلك بقوله: "وسفرت أوجه الفجور، وكشّر الجود أنيابه، وقلت المبالاة، وذهب الحياء والحشمة من الناس، حتى فعل من شاء ما شاء وتعدت منذ عهد المحن التي كانت في سنة ست وثمانمائة الحجاب، وهتكوا الحرمة وتحكموا بالجور تحكماً خفي معه نور الهدي، وتسلطوا على الناس مقتاً من الله لأهل مصر وعقوبة لهم بما كسبت أيديهم، ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون"(المقريزي، 1998: 86/3).

لقد فكّر المقريزي ضمن نطاق عصره حول بعض المسائل ولم يتجاوز السائد، وحاول أن يُقدم رواية مغايرة أو تحليلاً مختلفاً لبعض المسائل، فانتقد بعض الأخبار، ولكنه استسلم بشكل مدهش أمام خرافات أخرى من مستغربات الحدوث، ووصل به الأمر إلى الدفاع عن خرافية بعض الأخبار التي تحدث عنها، من ذلك حديثه عن العصور القديمة في مصر، إذ استعمل مادة تاريخية لا يمكن الاعتماد عليها لما تحويه من مبالغات لا يمكن للعقل أن يقبلها، ومن ذلك ما يذكره خلال حديثه عن مصر قبل الفتح الاسلامي، عن ملعب يتسع إلى "ألف ألف من الناس، فلا يكون فيهم أحد إلا وهو ينظر في وجه صاحبه، ثم إن قرئ كتاب

سمعوه جميعاً، أو لعب نوع من اللعب رأوه عن آخرهم"(المقريزي، 1998: 101/1)، كما تحدث عن شجرة إذا هددتها بالقطع تذبل "وإذا قيل لها عفونا عنك وتركناك فتتراجع"(المقريزي، 1998: 103/1)، وأخرى عن تمثال مجنح يكشف الزاني والزانية"(المقريزي، 1998: 107/1)، وقصة عن درهم من الذهب يزن أي شيء يوزن به ويرجح"(المقريزي، 1998: 110/1)، "وعن تنور يشوي ويطبخ من غير نار"(المقريزي، 1998: 117/1)، كما ينقل عن المسعودي أن نهر النيل حسب بعض الروايات ينبع من الجنة، ولا ينتقد الرواية أو يُشكك بها(المقريزي، 1998: 152/1)، وأنه في قديم الزمان كانت الصخور تلين، فعُمل منها أعمدة ناعط ومأرب وبينون ومآثر اليمن وأعمدة دمشق ومصر ومدين وتدمر، وأن كل شيء كان يتكلم"(المقريزي، 1998: 449/1)، "وعن قبر لأحد الصالحين يُستجاب عنده الدعاء"(المقريزي، 1998: 40/3)، كما يتحدث عن قبر السيدة نفيسة وأنه أحد المواضع المستجابة الدعاء، ويتحدث عن كرامات لها تشابه الخيال من شفاء للمرض والتسبب في زيادة مياه النيل في سنوات الجفاف(المقريزي، 1998: 641/3)، ويذكر خبر عن ضرس إنسان يزن ثمانية أرطال(المقريزي، 1998: 449/1).

ولا يكتفي المقريزي بذكر هذه الغرائبيات، بل يُدافع أحياناً عن بعض أخباره غير المعقولة، ويحاول إثبات صحتها، ومن ذلك حديثه ودفاعه عما تردد في مصدره من جلب سبعة من الأعمدة الضخمة من أسوان إلى الاسكندرية، وقد حمل أحدها "البتون بن مرة العادي تحت إبطه، وجاء بعمود آخر جحدر بن سنان الثمودي، وجاء بقية رجالهم كل رجل بعمود"(المقريزي، 1998: 449/1)، ويُدافع عن هذا الخبر بقوله: "وكأني بمن قل علمه ينكر علي إيراد هذا الفصل، ويراه من قبيل المحال ومما وضعه القصاص ويجزم بكذبه فلا يوحشنك حكايتي له، وأسمع قوله تعالى عن قوم هود: "وأذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح وزادكم في الخلق بسطة(سورة الأعراف، الآية: 69)، أي طولاً وعظم جسم، وقال وهب بن منبه: كان رأس أحدهم مثل قبة عظيمة، وكانت عين الرجل منهم تفرخ فيها السباع وكذلك مناخرهم، وروى عبد الله بن لهيعه، عن يزيد بن عمرو المعافري، عن ابن بجرة قال: استظل سبعون رجلاً من قوم موسى عليه السلام في قحف رجل من العماليق، وقال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: كان أطولهم مئة ذراع وأقصرهم ستين ذراعاً، وقال تعالى: "ألم تر كيف فعل ربك بعاد، ارم ذات العماد، التي لم يخلق مثلها في البلاد"(سورة الفجر، الآية: 6–8)، وفي كشاف الزمخشري: لم يخلق مثلها في البلاد، عظم أجرام وقوة، وكان طول الرجل منهم أربعمائة ذراع"(المقريزي، 1998: 450/1).

ويُفسر المقريزي إيراده لهذه الأخبار رغم غرابتها بقوله: "وأعلم أن أعين ابن آدم ضيقة، وقد نشأت نفوسهم في محل صغير، فإذا حدث القوم بما يتجاوز مقدار عقولهم أو مبلغ أجسامهم مما ليس عندهم أصل يقيسونه عليه، إلا ما يشاهدونه أو يألفونه، عجلوا إلى الارتياب فيه، وسارعوا إلى الشك في الخبر عنه، إلا من كان معه علم وفهم فإنه يفحص عما يبلغه من ذلك حتى يجد دليلاً على قبوله أو رده"(المقريزي، 1998: 451/1).

وهكذا فإنّ المقريزي قد دافع بحماس عن هذه الأخبار، على الرغم من خرافيتها، استناداً إلى أقوال علماء التفسير واللغة والحديث والمؤرخين، معتقداً أن فهمهم وعلمهم ينفي الارتياب عن هذه الأخبار بل يجد أن فيهم الدليل على صدقيتها.

وقد حاول المقريزي تجنب الاستطراد في سرد الأحداث، كما تعهد في مقدمة كتابه الخطط بالإيجاز وعدم الإطالة، فهو يختار عنواناً محدداً ويلتزم بسرد الأحداث ضمن نطاق هذا العنوان، كما يلتزم بالخط العام لكتابه، وعندما ينزاح قليلاً، فهو انزياح يخدم الفكرة العامة للكتاب، وعندما يلاحظ أن الاسترسال في التفاصيل أو الخبر يخرج به عن خطة الكتاب ومنهجه، ينبه إلى ذلك بعبارات صريحة كقوله عند حديثه عن البحر الرومي وطوله: "قيل خمسة آلاف ميل، وقيل ستة آلاف ميل وعرضه من سبعمائة ميل إلى ثلاثمئة ميل، وفيه مائة وسبعون جزيرة عامرة فيها أمم كثيرة معروفة إلا أنه ليس من شرط هذا الكتاب"(المقريزي، 1998: 54/1)، وعن حديثه عن بحر الصقلب، يذكر أن له عجائب كثيرة "إلا أنه ليس من شرط هذا الكتاب ذكرها"(المقريزي، 1998: 54/1)، وقوله: "وسنقف إن شاء الله تعالى على ذكر من ملك من الأكراد والأتراك والجراكسه وتعرف أخبارها على ما شرطنا من الاختصار"(المقريزي، 1998: 112/3)، وقوله: "وقد كان لموسى عليه السلام أنباء قد قصها الله تعالى في القرآن الكريم وفي التوراة، وروى أهل الكتاب وعلماء الأخبار من المسلمين كثيراً منها، وسأقص عليك في هذا الموضع منها ما فيه كفاية، إذ كان ذلك من شرط هذا الكتاب"(المقريزي، 1998: 700/3)، وقوله عند الحديث عن الدعوة الفاطمية من الناحية العقائدية وأفكارها الدينية: "ولا يحتمل هذا الكتاب بسط القول في هذا المعنى"(المقريزي، 1998: 451/2).

كما أظهر المقريزي براعة في تصنيف مادته التاريخية، والسير بها وفق خطة واضحة المعالم، وحاول رسم إطار محدد لتاريخه، ونجح في بناء مادة تاريخية محكمة التنظيم من حيث الالتزام بالخط العام لكتابه. فنجده في سرده للأحداث والأخبار والتفاصيل يحيل القارئ إلى تفاصيل تخص الخبر الذي يتحدث عنه، مشيراً إلى أن استكمال الخبر أو تفاصيله الأخرى سترد في

الصفحات اللاحقة من الكتاب ويحدد العنوان الذي سترد من خلاله كقوله: "وسيرد خبر موسى عليه السلام عند ذكر كنيسة دموه من هذا الكتاب في ذكر كنائس اليهود"(المقريزي، 1998: 52/1)، وقوله: " وسيأتي الكلام عليه مبسوطاً إن شاء الله تعالى عند ذكر ظواهر القاهرة من هذا الكتاب"(المقريزي، 1998: 208/1)، وقوله: "وكان للمسلمين فيهم وقائع يأتي خبرها في موضعه من هذا الكتاب"(المقريزي، 1998: 232/1)، وقوله: "وسيمر بك جمل من ذلك عند ذكر أسباب خراب اقليم مصر"(المقريزي، 1998: 451/1)، وقوله: "فيجئ الخلل كما ستقف عليه إن شاء الله عند ذكر أسباب الخراب"(المقريزي، 1998: 290/1)، وقوله: "وسيأتي ذكر ذلك عند ذكر محن مصر من هذا الكتاب"(المقريزي، 1998: 379/1)، وقوله: "وسيرد ذكرها في المدارس"(المقريزي، 1998: 544/1)، وقوله: "وستقف على هذا في ذكر جامع عمرو عند ذكر الجامع من هذا الكتاب"(المقريزي، 1998: 794/1).

كما قد يُحيل القارئ إلى عناوين وتفاصيل سابقة للخبر الذي يتحدث عنه، كقوله:" وقد ذكرنا ما كان في الدولة الفاطمية من الاهتمام بفتح الخليج، عند ذكر مناظر اللؤلؤة"(المقريزي، 1998: 177/1)[174] ، وقوله: "وقد ذكر في خطط القاهرة من هذا الكتاب"(المقريزي، 1998: 316/1)، وقوله: "وقد تقدم الكلام عليه عند ذكر الاسكندرية من هذا الكتاب"(المقريزي، 1998: 723/1)، وقوله: "وقد ذكر طرف من ذلك في أخبار القاهرة عند ذكر خزائن القصر"(المقريزي، 1998: 929/1)، وقوله: "وقد ذكر في أخبار الاسكندرية ودمياط من هذا الكتاب جملة من نزلات الروم والفرنج عليها، وما كان في زمن الإنشاء، فأنظره تجده إن شاء الله"(المقريزي، 1998: 8/3)، وقوله: "وقد ذكر خبر هذه الصناعة عند ذكر مناظر الخلفاء"(المقريزي، 1998: 15/2)، وقوله: "كما قد ذكر عند ترجمته عند ذكر سور القاهرة من هذا الكتاب"(المقريزي، 1998: 36/2)، وقوله: "وقد بسطت خبر العزيز والحاكم عند ذكر الجوامع مع هذا الكتاب"(المقريزي، 1998: 39/2).

وترد في كتاب الخطط العديد من الصيغ التي استخدمها المقريزي في ربط مادته التاريخية دون تحديد للعناوين أو الموضوعات بشكل محدد التي وردت فيها تفاصيل الخبر، كقوله: "وقد اتينا على ذكرها فيما تقدم من تصنيفنا"(المقريزي، 1998: 128/1)، وقوله: "وقد تقدم ذكره"(المقريزي، 1998: 172/1)، وقوله: "وستقف إن شاء الله تعالى عن قريب على ما كان من أعمال القدماء ومن بعدهم في ذلك"(المقريزي، 1998: 179/1)، وقوله: "وقد ذكر في موضعه من هذا الكتاب"(المقريزي، 1998: 209/1)، وقوله: "وسائر هذه الأقسام مذكورة أخبارها في هذا الكتاب، تجدها إن أنت تاملته"(المقريزي، 1998: 280/1)، وقوله: "وسأذكر في خبر هذه الأعياد ما لا تجده مجموعاً في غير هذا الكتاب"(المقريزي، 1998: 733/1)، وقوله: "قد تقدم فيما سلف من هذا الكتاب"(المقريزي، 1998: 758/1)، وقوله: "وقد مرّ في غير موضع من هذا الكتاب كثير من أخباره"(المقريزي، 1998: 44/2)، وقوله: "وسيأتي بيان ذلك مفصلاً في موضعه من هذا الكتاب"(المقريزي، 1998: 51/2)، ولكن يلاحظ أن محتويات كتاب الخطط خاصة قرب نهايته تختلف بعض الشيء عن خطة المؤلف الأولى التي أشار لها في المقدمة، ففي المقدمة يذكر أنه رتب كتابه عل سبعة أجزاء، وأن كل جزء من هذه الأجزاء قد تضمن عدة أقسام(المقريزي، 1998: 10/1)، إذ لا وجود للجزء السابع والذي وعد أن يعالج فيه أسباب خراب إقليم مصر، مع إشارته إليه إشارات عديدة في الأجزاء الأخرى، ومن ذلك قوله: "وسيمر بك جمل من ذلك عند ذكر أسباب خراب إقليم مصر إن شاء الله تعالى"(المقريزي، 1998: 262/1)، وقوله: "فيجئ الخلل كما ستقف إن شاء الله تعالى عند ذكر أسباب الخراب"(المقريزي، 1998: 290/1)، وقوله: "وسيأتي ذكر ذلك إن شاء الله تعالى عند ذكر أسباب خراب مصر"(المقريزي، 1998: 315/1)، وقوله: "كما يُبين في موضعه من هذا الكتاب عند ذكر الأسباب التي أوجبت خراب الاقليم"(المقريزي، 1998: 89/3).

ومن كل ذلك يمكن الافتراض أنه لم يكتب الجزء السابع إطلاقاً، أو فضل عدم ضمه إلى مصنفه، وقد يكون اعتبر أن تأليفه لكتاب (إغاثة الأمة بكشف الغمة) الذي تعرض فيه لتاريخ المجاعات والأوبئة التي أصابت مصر واهلها، حتى المجاعة الشديدة التي عاصرها (808-796هـ)، وهو في هذا الكتاب ينتقد الأوضاع القائمة في الدولة، وما يرتبط بها من سوء تصرفات الحكام، ويحلل تلك الأزمات تحليلاً اقتصادياً يجمع بين العُمق والإيجاز ويشرح ما لها من آثار اقتصادية واجتماعية، وكيف تسببت في خراب مصر(كراتشكوفسكي، 1957: 481/2؛ عاشور، 1983: 178)، كما يتبين من ذلك أنه لم يُنقحّ مقدمة كتابه بصورة نهائية.

وقد يُحيل المقريزي القارئ إلى مؤلفاته الأخرى، إن أراد الاطلاع على تفاصيل أكثر للخبر أو المعلومة التي يتحدث عنها، التزاماً منه بعدم الإطالة أو الخروج عن غرضه من تأليف الكتاب وخطته، ومن ذلك قوله: "وقد استقصيت سير الوزراء في كتابي الذي سميته تلقيح العقول والآراء في تنقيح أخبار الجّلة الوزراء فأنظره"(المقريزي، 1998: 239/2)، وقوله: "وقد ذكرت أولاد شيخ

الشيوخ في كتاب تاريخ مصر الكبير واستقصيت فيه أخبارهم"(المقريزي، 1998: 439/2)، وقوله: "وقد جمعت في وزراء الإسلام كتاباً جليل القدر، وأفردت وزراء مصر في تصنيف بديع"(المقريزي، 1998: 90/3)، وقوله: "وقد تقدم في هذا الكتاب ذكر الأمراء والخلفاء وستقف إن شاء الله تعالى على ذكر من ملك من الأكراد والأتراك والجراكسه، وتعرف أخبارهم على ما شرطنا من الاختصار، إذ وضعت لبسط ذلك كتاباً سميته كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك وجردت تراجمهم في كتاب التاريخ الكبير، المقفي، فتطلبهما تجد فيهما ما لا تحتاج بعد ذلك إلى سواهما في معناهما"(المقريزي، 1998: 112/3)، وقوله: "وقد ذكرته بأبسط من هذا في كتابي درر العقود الفريدة في تراجم الأعيان المفيدة وفي كتابي خلاصة التبر في أخبار كُتاب السر"(المقريزي، 1998: 502/2).

لقد نجح المقريزي من خلال ترابط مادته التاريخية برسم إطار محدد لتاريخه، وجعله بناء متكاملاً مُحكم التنظيم، فأتسم كتابه بالوحدة والاتزان، والتسلسل المنطقي للعناوين وللمادة التاريخية داخل كل عنوان.

منهجه في التعامل مع المصادر:

يمكن تقسيم المصادر التي اعتمدها المقريزي في كتابه الخطط إلى عدة أنواع هي:

1- المصادر المكتوبة: وأشار إلى ذلك بقوله: "النقل من الكتب المصنفة في العلوم"(المقريزي، 1998: 10/1)، ومن الأمثلة على ذلك قوله: "على ما ذكره ابن خرداذبة في كتاب المسالك والممالك"(المقريزي، 1998: 45/1)، وقوله: "وقال أبو الريحان البيروني في كتاب تحديد نهايات الأماكن لتصحيح مسافات المساكن"(المقريزي، 1998: 54/1)، وقوله: "وذكر أبو الحسن المسعودي في كتاب أخبار الزمان"(المقريزي، 1998: 56/1)، وقوله: "قال أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الحكم في كتاب فتوح مصر وأخبارها"(المقريزي، 1998: 61/1)، وقوله: "قال أبو جعفر محمَّد بن جرير الطبري في تفسيره"(المقريزي، 1998: 72/1)، وقوله: "قال صاعد اللغوي في كتاب طبقات الأمم"(المقريزي، 1998: 91/1)، وقوله: "قال قدامة بن جعفر في كتاب الخراج"(المقريزي، 1998: 158/1)، وقوله: "قال أبو بكر بن وحشية في كتاب الفلاحة"(المقريزي، 1998: 187/1)، وقوله: "قال أبو عمر محمَّد بن يوسف الكندي في كتاب أمراء مصر"(المقريزي، 1998: 231/1)، وقوله: "وذكر ابن الأثير في تاريخه"(المقريزي، 1998: 275/1)، وقوله: "وقال الهمداني في كتاب الاكليل"(المقريزي، 1998: 319/1).

2- المشاهدة والمعاصرة: وأشار إلى ذلك بقوله: "والرواية عمن أدركت من شيخة العلم وجلة الناس والمشاهدة لما عاينته ورأيته"(المقريزي، 1998: 10/1)، ومن ذلك قوله: "أخبرني داود بن رزق الله بن عبد الله، وكانت له سياحات كثيرة بأراضي مصر ومعرفة أحوالها"(المقريزي، 1998: 118/1)، وقوله: "وأخبرني قديماً بعض من لا أتهمه"(المقريزي، 1998: 119/1)، وقوله: "أخبرني الشيخ المعمر محمَّد بن المسعودي"(المقريزي، 1998: 120/1)، وقوله: "أخبرني غير واحد من بلاد أخميم من صعيد مصر"(المقريزي، 1998: 123/1)، وقوله: "قال لي شيخنا الأستاذ أبو زيد عبد الرحمن بن خلدون رحمه الله"(المقريزي، 1998: 149/1)، وقوله: "وطالما سلكت هذا الفضاء الذي بين جامع إبن طولون وكوم الجارح، حيث كان العسكر، وتذكرت ما كان هنالك من الدور الجليلة والمنازل العظيمة والمساجد والأسواق والبساتين"(المقريزي، 1998: 843/1)، وقوله: "أخبرني بذلك من أثق بنقله"(المقريزي، 1998: 16/2)، وقوله: "وأدركنا ذلك كله على غاية العمارة"(المقريزي، 1998: 20/1)، وقوله: "فهذه صفة القاهرة الآن، وستقف إن شاء الله تعالى على كيفية ابتداء وضع هذه الأماكن وما صارت إليه وذكر التعريف بمن نسبت إليه، أو عرفت به، على ما التقطت ذلك من كتب التواريخ ومجامع الفضلاء، ووقفت عليه بخطوط الثقاة وأخبرني بذلك من أدركته من المشيخة وما شاهدته من ذلك"(المقريزي، 1998: 90/2).

ج- القرآن الكريم: فقد اعتمد المقريزي القرآن الكريم مصدراً للمعلومة ووسيلة للاستشهاد على مدى صدقية الخبر أو رفضه وتدعيم الأخبار بالآيات القرآنية، ولعل ذلك يعطي شرعية وقوة لمصداقية هذه الأخبار، ويعزز تأثيرها في النفوس ومن ذلك دفاعه عن الأخبار التي تتحدث عن ضخامة أجسام البشر في القديم من الزمان، خلال حديثه عن بعض المباني الضخمة، واستشهاده في آيات من القرآن الكريم لإثبات روايته، ويُعلق على الأمر بقوله: "وكأنني بمن قل علمه يُنكر إيراد هذا الفصل ويراه من قُبيل المحال، ومما وضعه القُصاص ويُجزم بكذبه، فلا يوحشنك روايتي له واسمع قوله تعالى عن عاد قوم هود: "وأذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح وزادكم في الخلق بسطة" وقوله تعالى: "ألم تر كيف فعل ربك بعاد إرم ذات العماد لم يخلق مثلها في البلاد"(المقريزي، 1998: 450/1؛ الأعراف، الآية: 89).

وكذلك عند حديثه عن بحر القلزم(المقريزي، 1998: 15/1)، وقصة يوسف(المقريزي، 1998: 71/1)، وفضائل

مصر(المقريزي، 1998: 77/1، 131)، وأخبار موسى مع فرعون(المقريزي، 1998: 183/1، 203)، ونهر النيل(المقريزي، 1998: 227/1، 287)، وفتح مصر وخراجها(المقريزي، 1998: 497/1)، وخبر مدينة تنيس(المقريزي، 1998: 518/1)، ومدينة أيلة(المقريزي، 1998: 527/1)، ومدين(المقريزي، 1998: 634/1)، ومدينة الرقة(المقريزي، 1998: 697/1، 712، 715، 717)، وتاريخ الخليقة(المقريزي، 1998: 732/1)، وأعياد القبط في مصر(المقريزي، 1998: 398/3، 399، 402، 411، 413).

أمَّا عن منهجه في الأخذ من المصادر، فلقد اتبع المقريزي في كتابه الخطط منهجاً متميزاً في انتقاء مادته من بين هذا العدد الكبير من المصادر التي اعتمد عليها في كتابه، عبر منهجية واضحة المعالم في التعامل مع هذه المصادر، يمكن تقسيمها إلى الأنماط التالية:

1- الاسناد إلى المصدر مع ذكر اسم المؤلف واسم الكتاب، ومن ذلك قوله: "على ما ذكره ابن خرداذبة في كتاب الممالك والمسالك"(المقريزي، 1998: 45/1)' وقوله: "وذكر أبو الحسن المسعودي في كتاب أخبار الزمان"(المقريزي، 1998: 56/1)، وقوله: "وقال أبو القاسم عبد الرحمن بن عبدالله بن عبدالحكم في كتاب فتوح مصر وأخبارها"(المقريزي، 1998: 61/1)' وقوله: "وذكر أبو الريحان البيروني في كتاب الآثار الباقية عن القرون الخالية"[240]، وقوله: "قال عبدالله بن أحمد بن سليم الأسواني في كتاب أخبار النوبة"(المقريزي، 1998: 192/1)، وقوله: "قال القاضي أبو الحسن في كتاب المنهاج في علم الخراج"(المقريزي، 1998: 287/1)[242] ، وقوله: "وقال الهمداني في كتاب الاكليل"(المقريزي، 1998: 329/1)[243] ، وقوله: "قال محمَّد بن أحمد البلخي في كتاب مفاتيح العلوم"(المقريزي، 1998: 718/1)، وقوله: "قال القاضي أبو عبد الله محمَّد بن سلامة القضاعي في كتاب الخطط"(المقريزي، 1998: 912/1)، وقوله: "آخر ما رأيت من الكتب التي صنفت في خطط مصر كتاب تاج الدين محمَّد بن عبد الوهاب بن المتوج"(المقريزي، 1998: 12/2)، وقوله: "قال ابن عبد الظاهر في كتاب الروضة البهية الزاهرة في خطط المعزية القاهرة"(المقريزي، 1998: 52/2).

2- الاسناد إلى المصدر بذكر اسم الكتاب فقط، ومن الأمثلة على ذلك قوله: "وذكر في كتاب عجائب الحكايات وغرائب الماجريات"(المقريزي، 1998: 100/1)، وقوله: "وفي كتاب تحفة الألباب"(المقريزي، 1998: 103/1)' وقوله: "وقال في كتاب الفهرست"(المقريزي، 1998: 117/1)، وقوله: "وقال في كتاب نزهة المشتاق إلى اختراق الآفاق"(المقريزي، 1998: 158/1)، وقوله: "وفي كتاب عجائب البنيان"(المقريزي، 1998: 340/1)[252] ، وقوله: "وقال في كتاب عمل الرصد"(المقريزي، 1998: 356/1)، وقوله: "قال في كتاب أخبار الزمان"(المقريزي، 1998: 498/1)، وقوله: "وقال في كتاب الذخائر"(المقريزي، 1998: 110/3)، وقوله: "وقال في كتاب كنز الدرر"(المقريزي، 1998: 141/2)، وقوله: "وقال في كتاب سيرة المعز لدين الله"(المقريزي، 1998: 769/2).

3- الاسناد إلى المصدر بذكر اسم المؤلف فقط، ومن ذلك قوله: "قال ابن قتيبة"(المقريزي، 1998: 21/1)، وقوله: "قال الخوارزمي"(المقريزي، 1998: 29/1)، وقوله: "قال ابن خرداذبة"(المقريزي، 1998: 45/1)، وقوله: "قال البكري"(المقريزي، 1998: 64/1) وقوله: "قال الطبري"(المقريزي، 1998: 73/1) وقوله: "قال الجاحظ"(المقريزي، 1998: 85/1) وقوله: "قال المسعودي"(المقريزي، 1998: 93/1) وقوله: "قال الزجاج"(المقريزي، 1998: 129/1) وقوله: "قال الأستاذ إبراهيم بن وصيف شاه"(المقريزي، 1998: 156/1) وقوله: "قال الرئيس أبو علي بن سينا"(المقريزي، 1998: 189/1) وقوله: "قال اليعقوبي" وقوله: "قال ابن رضوان"(المقريزي، 1998: 5/2) وقوله: "قال ابن الطوير"(المقريزي، 1998: 112/2) وقوله: "قال ابن المامون"(المقريزي، 1998: 141/2) وقوله: "قال المسبحي"(المقريزي، 1998: 20/3) وقوله: "قال ابن سيده"(المقريزي، 1998: 436/3) وقوله: "قال ابن خلكان"(المقريزي، 1998: 446/3).

4- الاسناد إلى مجهول ومبهم، ومن ذلك قوله: "وقال قوم"(المقريزي، 1998: 33/1)، وقوله: "وحكى المعتنون بأخبارها وتواريخها"(المقريزي، 1998: 47/1)، وقوله: "وذكر بعض أصحاب السير من الفلاسفة"(المقريزي، 1998: 55/1)، وقوله: "وقالت طائفة"(المقريزي، 1998: 71/1)، وقوله: "وذكر بعض القبط"(المقريزي، 1998: 105/1)، وقوله: "وأخبرني من لا أتهمه"(المقريزي، 1998: 119/1)، وقوله: "وقال بعض الحكماء"(المقريزي، 1998: 121/1)، وقوله: "ورأيت جماعة من أهل الخبرة وذوي المعرفة يقولون"(المقريزي، 1998: 207/1)[282] ، وقوله: "وذكر بعض مؤرخي مصر"(المقريزي، 1998: 339/1)[283]، وقوله: "وقرأت في بعض كتب الصابئة"(المقريزي، 1998: 342/1)، وقوله: "وأهل التاريخ يذكرون"(المقريزي، 1998: 409/1)، وقوله: "أخبرني بذلك من أثق بنقله"(المقريزي، 1998: 20/2)، وقوله: "وذكر غير واحد من علماء الأخبار في

مصر"(المقريزي، 1998: 641/3)[287]، وقوله: "يذكر علماء الأخبار من النصارى"(المقريزي، 1998: 765/3).

5- نقد المصادر، لقد استعمل المقريزي في كتابه الخطط عدداً كبيراً من المصادر المتنوعة في بناء مادته التاريخية، وقد تعرض إلى بعض المصادر بالنقد والتفنيد والمناقشة والتشكيك ببعض أخبارها، ومن ذلك وقوله: "قال مؤلفه رحمه الله فيما تقدم، من حكاية ابن وصيف شاه ما يتبين به وهم ما نقله المسعودي، من أن الاسكندر هو الذي عمل التابوت حتى صور أشكال حيوانات البحر"(المقريزي، 1998: 422/1)، وقوله: "هذا وهم من ابن المتوج"(المقريزي، 1998: 234/3)، وقوله: "وقال ابن سعيد في كتاب المُغرب: وأما فسطاط مصر فإن مبانيها كانت في القديم متصلة بمباني مدينة عين شمس، وجاء الإسلام وبها بناء يُعرف بالقصر حوله مساكن، وعليه نزل عمرو بن العاص وضرب فسطاطه حيث المسجد الجامع المنسوب إليه، وهذا وهم من ابن سعيد، فإن فسطاط عمرو إنما كان مضروباً عند درب حمام شمول بخط الجامع، هكذا هو بخط الشريف محمَّد بن أسعد الجواني النسابة وهو أقعد بخطط مصر وأعرف من ابن سعيد"(المقريزي، 1998: 794/1)، وقوله: "وقد وهم القاضي محيي الدين عبدالله بن عبد الظاهر، فإنه قال في كتاب الروضة الزاهرة في خطط المعزية القاهرة، مدرسة السيوفيه وهي للحنفية وقد وقفها عز الدين فرخشاه قريب صلاح الدين، وما أدري كيف وقع له هذا الوهم، فإن كتاب وقفها موجود وقد وقفت عليه ولخصت منه ما ذكرته، وفيه أن واقفها السلطان صلاح الدين وخطه على كتاب الوقف"(المقريزي، 1998: 443/3).

الخاتمة

توصَّل البحث إلى العديد من النتائج التي يمكن إجمالها فيما يلي:

- إنّ كتاب الخطط ليس من كتب التاريخ التي تقتصر على الحوليات وأحداث السنين، وإنما هو موسوعة جغرافية وتاريخية واقتصادية واجتماعية وحضارية لمصر والقاهرة وعمرانها.
- امتاز منهج المقريزي في التعامل مع مادته التاريخية في الخطط بالربط التتابعي والتحليلي ضمن الإطار المكاني، من خلال دراسة المتغيرات على المكان عبر العصور وربطها بالعامل الزمني، كما جعل من كتابه سجلاً للأحداث والنشاط الإنساني بكل تجلياته من خلال رصده لنشاط الإنسان وتفاعله مع المكان والجغرافيا.
- للكتابة التاريخية في الخطط عند المقريزي أهداف تربوية وأخلاقية واستدعاء واظهار للعبرة والموعظة والدرس، واعتبر أن القيمة الكبرى للتاريخ أن يستفيد منه الناس في حاضرهم.
- يحفل منهج المقريزي بالنقد والتحليل واستخدام البراهين والأدلة في التعامل مع مادته التاريخية، ويسعى إلى تفسير الكثير من الأحداث في سياق الأسباب والعلل، كما ربط في العديد من التحليلات بين العوامل وتداخلها ومسبباتها البعيدة والقريبة.
- وجه المقريزي نقداً شديداً للسياسات الخاطئة مبيناً نتائجها الكارثية على الدولة والمجتمع، كما انتقد السلوكيات الاجتماعية السلبية مفسراً أسباب ظهورها ودلالات انتشارها.
- لم يكتف المقريزي بنقد بعض الأخبار والتشكيك بها، وإنما يعمد إلى تصحيحها وتقديم الخبر برواية مغايرة.
- اتّبع المقريزي في عرض مادته التاريخية منهج يعتمد على عدم الاستطراد، فهو يختار عنواناً محدداً ويلتزم بسرد الأحداث ضمن نطاق هذا العنوان.
- كما أظهر براعة في تصنيف مادته التاريخية ونجح في بناء مادة تاريخية محكمة التنظيم؛ فأتسم كتابه بالوحدة والاتزان والتسلسل المنطقي للعناوين وللمادة التاريخية داخل كل عنوان.
- اعتمد المقريزي في أخباره مصادر مكتوبة وأخرى من خلال المشاهدة والمعاصرة، وقد حرص في الأغلب على ذكر المؤلفين والكتب التي أعتمدها، كما أستخدم صيغ متعددة في الإشارة لهذه المصادر، وانتقد بعض المصادر التي تتعارض روايتها مع منهجه، واستخدم أسلوب المقارنة بين الأخبار والروايات في المصادر المتنوعة.
- أورد المقريزي في تناوله لبعض الأخبار بعض الخرافات والغرائب، وتجاوز ذلك إلى الدفاع عن خرافية بعضها وعدم معقوليتها، لا سيّما في تناوله الروايات المتعلقة بالعصور القديمة.

المصادر والمراجع

ابن تغري بردي، جمال الدين أبو المحاسن يوسف (ت 874هـ/ 1470م)، المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي، 13 ج، تحقيق محمَّد محمَّد أمين، 1984م، مركز تحقيق التراث، القاهرة.

الخالدي، طريف، 1977م، فكرة التاريخ عند العرب، من الكتاب إلى المقدمة، ترجمة حسين زينة، دار النهار، بيروت.

روزنتال، فرانز، 1963م، علم التاريخ عند المسلمين، ترجمة صالح العلي، بغداد، مكتبة المثنى.

زيادة، محمَّد مصطفى، 1949م، المؤرخون في مصر في القرن الخامس عشر الميلادي، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة.

السخاوي، شمس الدين محمَّد بن عبدالرحمن، (ت 902هـ/ 1497م)، الإعلان بالتوبيخ لم ذم أهل التاريخ، تحقيق: فرانزروزنتال، ترجمة صالح العلي، 1986م، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1.

السخاوي، شمس الدين محمَّد بن عبدالرحمن، (ت 902هـ/ 1497م)، التبر المسبوك في ذيل السلوك، 4 ج، تحقيق: نجوى مصطفى ولبيبة إبراهيم، دار الكتب والوثائق القومية، مركز تحقيق التراث، القاهرة.

السخاوي، شمس الدين محمَّد بن عبدالرحمن، (ت 902هـ/ 1497م)، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، 12 ج، 1992م، دار الجيل، بيروت، ط1.

السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن، (ت 911هـ/ 1505م)، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، 2 ج، تحقيق: محمَّد أبو الفضل إبراهيم، 1964م، مطبعة عيسى البابي الحلبي، ط1.

السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن، (ت 911هـ/ 1505م)، حُسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، 2 ج، تحقيق: محمَّد أبو الفضل إبراهيم، 1967م، دار إحياء الكتب العربية، ط1.

الشوكاني، محمَّد بن علي، (ت 1250هـ/ 1834م)، البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، 2 ج، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.

الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك، (ت 764هـ/ 1362م)، الوافي بالوفيات، 29 ج، تحقيق: أحمد الأرناؤط وتركي مصطفى، 2000م، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1.

عاشور، سعيد، أضواء جديدة على المؤرخ أحمد بن علي المقريزي وكتاباته، مجلة عالم الفكر، مجلد 14، العدد 2، 1983م، الكويت.

عزالدين، محمَّد كمال الدين، 1990م، المقريزي مؤرخاً، عالم الكتب، ط1، بيروت.

العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر، (ت 852هـ/ 1448م)، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، 4 ج، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر، (ت 852هـ/ 1448م)، أنباء الغمر بأنباء العمر، 4 ج، تحقيق حسن حبشي، 1969م، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة.

العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر، (ت 852هـ/ 1448م)، رفع الأصر عن قضاة مصر، تحقيق علي محمَّد عمر، 1998م، مكتبة الخانجي القاهرة، ط1.

العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر، (ت 852هـ/ 1448م)، لسان الميزان، 10 ج، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدّة، 2002م، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط1.

عنان، محمَّد عبد الله، 1999م، مؤرِّخو مصر الإسلامية ومصادر التاريخ المصري، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة.

الكتبي، محمَّد بن شاكر، (ت 764هـ/ 1363م)، فوات الوفيات، 5 ج، تحقيق: إحسان عباس، 1973م، دار صادر، بيروت.

كراتشكوفسكي، أغناطيوس، 1957م، تاريخ الأدب الجغرافي العربي، 2 ج، ترجمة صلاح الدين عثمان هاشم، الإدارة الثقافية في جامعة الدول العربية، القاهرة.

كوثراني، وجيه، 2013م، تاريخ التأريخ، اتجاهات مدارس مناهج المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، بيروت، ط2.

مصطفى، شاكر، 1983م، التاريخ العربي والمؤرخون، 3 ج، دار العلم للملايين، بيروت، ط3.

المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي، (ت 845هـ/ 1441م)، السلوك لمعرفة دول الملوك، 8ج، تحقيق محمَّد عبد القادر، 1997م، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1.

المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي، (ت 845هـ/ 1441م)، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، 3 ج، تحقيق: محمَّد زينهم ومديحة الشرقاوي، 1998م، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط1.

المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي، (ت 845هـ/ 1441م)، درر العقود الفريدة في تراجم الأعيان المفيدة، 4 ج، تحقيق محمود الجليلي، 2002م، دار الغرب الإسلامي، بيروت. ط1.

المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي، (ت 845هـ/ 1441م)، رسائل المقريزي، تحقيق: رمضان البدري وأحمد مصطفى قاسم، 1998م، دار الحديث، القاهرة، ط1.

المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي، (ت 845هـ/ 1441م)، مسودة كتاب المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار، تحقيق: أيمن فؤاد سيد، 1995م، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، لندن.

ويدجري، ألبان، ج، 1972م، التاريخ وكيف يفسرونه من كونفوشيوس إلى توينبي، ترجمة عبد العزيز توفيق، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

Al-Maqrizi and the Methodology in his Book (Preaches and Admonitions by Making Reference to Plans and Impacts) Al Mawa'ith wal I'tibar bi thikir Al Khutat wal Aathar

Khaldoun Khalil Habashneh*

ABSTRACT

This study tackles the Historical methodology of Al-Maqrizi (1441 BC/ 845 H) in his book (Preaches and Admonitions by Making reference to plans and impacts) through introducing its definition and illustrating his pioneering writing and plans. It also aims at shedding light on his very distinguished methodology by which he wrote his Encyclopedic Book that well established for the Historical Geography of Egypt and its architecture, in addition to its overlapping with the political, economic and social inputs. The study also looks into the impact of the aforementioned on history and destiny of States through a well-planned scheme of the book that complements with a well composed methodology featured by the inquest and analysis and avoiding digression. Al Maqrizi realized the above by reflecting on his experience and the employing a substantial number of resources. The study illustrated his objectives of authoring this book as well as the centrality of Egypt in history in addition to his criticism to the Mameluke State which led to the destruction of the country. His criticism though, included some unreasonable historical news due to its weirdness and lack of credibility.

Keywords: Al Maqrizi, Methodology, Historical Writing, Plans.

* Department of Human Sciences, Faculty of Arts, Al Zaytoonah University of Jordan, Jordan. Received on 28/2/2018 and Accepted for Publication on 18/7/2018.